

البعد السياسي في مسرح حسن يعقوب العلي: دراسة تحليلية مسرحية (الثالث)

**The Political Dimension in Hassan Yaqoub Al-Ali's Theater: (The Third) model, An Analytical Study.**

“哈桑·雅各布·阿里戏剧中的政治维度，一项分析研究：戏剧（第三）”

الدكتور/ عادل المالك

الأستاذ المساعد بقسم النقد والأدب المسرحي، بالمعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت

[ad\\_almalek@hotmail.com](mailto:ad_almalek@hotmail.com)

تاريخ تسلم البحث: 2023/8/2

تاريخ قبول البحث: 2023/8/23

الملخص:

تقوم فكرة مسرحية (الثالث) على ثيمة العدل مقابل الظلم، من خلال حكاية أبي الحسن الشاب الفقير، الذي يعاني من قسوة الحياة التي يسيطر عليها بعض الأغنياء من الناس، بدعم من رموز السلطة في البلاد. هذه السلطة المشتركة التي طالما حلم أبو الحسن بمحاربتها، والقضاء على الفساد والمفسدين فيها، متمثلة ب(أبي غالي) التاجر المحتال والوالي (ابن غانم). وتتوزع أحداث المسرحية على ثلاثة فصول، تبدأ بعرض أشكال الظلم الواقع على بعض الفقراء من الناس، ومن بينهم (أبو الحسن) الذي لا يملك إلا مقهى متواضعا بعائد قليل، وعلى الرغم من ذلك يقف أبو غالي في طريقه، محاولاً الاستيلاء على ما يملك، وسلاحه في ذلك قوة العلاقة التي تربطه بوالي المدينة. وتتطور الأحداث، خلال الفصل الأول، عندما يشاء القدر تحقيق أمنية أبي الحسن بتسلمه ولاية المدينة، ونشر العدل بين الناس، بعد رفع الظلم الواقع عليهم، ويتم ذلك من خلال اطلاع سلطان البلاد ووزيره على مجريات الأحداث، والممارسات غير العادلة في حق الشعب من قبل الوالي، ويستخدم السلطان لذلك وسيلة التنكر والنزول إلى الشوارع، متخفياً برفقة وزيره، ليكشف تجاوزات الظالم، ويأمر بتنحية الوالي عن منصبه، وتعيين أبي الحسن مكانه، ولمدة أسبوع واحد.

ويستمر الحدث خلال الفصلين الثاني والثالث للمسرحية، وفيهما يشهد الجمهور تطور حياة أبي الحسن وتغيرها، بعد أن أصبح والياً للمدينة، يأمر وينهى كما يشاء، محاولاً بجميع الطرق نشر العدل الكامل بين الناس، وإن كانت هذه الطرق تتم بشكل غير مدروس أو لائق. ولكن هاجس أبي الحسن الكبير، لإقامة العدل، أعمى بصيرته، فجعله يتخذ قرارات متسرعة، كإخراج كل المساجين والإفراج عنهم دون، استثناء، وإلقاء القبض على التجار والمسيطرين على الاقتصاد في المدينة، وكذلك التصدي لغلاء الأسعار فيها، رغم المعارضة الشديدة لأسلوب حكمه. لكنه يصبر على سجن كل من يخالف أمره، حتى بعد وقوف أصحاب الأموال من التجار وغيرهم

صفاً واحداً لمواجهته ومطالبته بالتنحي عن الحكم ، معللين ذلك بأن الوالي الجديد قد بالغ في إقامة العدل، بشكل أساء وأضر بسير العمليات التجارية في البلاد، فيظهر السلطان ووزيره في نهاية الفصل الثالث ، ويبدأ الأخير بمحاسبة أبي الحسن على قراراته، التي اتخذها إبان فترة حكمه، ويقابل بطلنا هذه المحاسبة بالإصرار على موقفه حتى نهاية المسرحية .

الكلمات المفتاحية:

الثالث، أبو الحسن، السلطة، الظلم، العدل، الحاكم.

### **Abstract:**

The idea of the play “The Third” is based on the theme of justice versus injustice. Through the story of Abu al-Hasan, the poor young man; who suffers from the harshness of life that is controlled by some rich people, with the support of authority of power in the country. This joint authority, which Abu Al-Hassan has always dreamed of fighting, eliminating corruption and corruptors in it, is represented by (Abu Ghaly). He was the fraudulent merchant and the governor was (Ibn Ghanem). The events of the play are divided into three chapters. Starting with showing the forms of injustice upon some poor people, including (Abu Al-Hassan), who only owns a modest coffee shop with a small profit. Despite that, Abu Ghaly stands in his way, trying to seize what he owns. His only strength was his relationship that binds him to the governor of the city. Events develop during the first chapter, when fate wills the fulfilment of Abu al-Hasan’s wish to take over the mandate of Medina, and to spread justice among the people. After getting rid of the injustice inflicted on them. For that, the sultan used the means of disguising himself and going to the streets, hiding along with his minister. In order to find out the transgressions of the oppressor, and to request removal of the governor from his position. Appointing Abu al-Hasan instead for a period of one week. And its change, after he became the ruler of the city, commands and forbids as he pleases, trying by all means to spread complete justice among the people, even if these methods are done in inappropriate manner. Nevertheless, Abi al-Hasan’s great obsession with establishing justice blinded his insight, and made him take hasty decisions such as ;taking out all prisoners and releasing them without exception, arresting merchants and those who control the economy in the city, and addressing the high prices in it, despite the strong objection to his rule. However, he insists on imprisoning everyone who violates his order, even after agreeing all merchants to stand in a single line to confront him and demand that he step down from power. Justifying this, by the fact that the new governor has exaggerated the administration of justice, in a way that has abused and harmed the conduct of commercial operations in the country. So the Sultan and his minister appear at the end of (The third chapter). It begins with holding Abu al-Hasan accountable for his decisions that he took during his reign, and our hero faces this accountability by insisting on his position until the end of the play.

**Key words: The third, Abu- alhasan, Authority, Injustice, Justice, Governor.**

#### مقدمة:

تمتع حسن يعقوب العلي بقدرات فنية ميزته عن غيره من زملائه الذين عاصروه في مجال التمثيل والتأليف المسرحي، وهو ما وضعه في مقدمة كتاب المسرح في الكويت والخليج العربي، وقد كان لعطائه الفني دوافع، أهمها نشأته وتلمذه على يد الفنان زكي طليمات في أثناء وجود الأخير في الكويت، ومشاركته إياه في التمثيل، فقد ظهر في مسرحية (صقر قريش)، و(أبو دلامة)، وشارك في تأسيس فرقة المسرح العربي عام 1961، وألف بعدها مسرحيات عدة، كان من أهمها مسرحيتا (الثالث) عام 1976، و(عشاق حبيبة) عام 1978.

وتمثل مسرحية (الثالث) الوسيلة الأساسية التي ابتكر فيها العلي شخصية ثالثة لأبي الحسن الشهير بالمغفل، الذي التقيناه وتعرفنا عليه في حكايات شهرزاد في كتاب "ألف ليلة وليلة" وقصة (النائم اليقظان)، وكذلك من خلال مسرحية (أبو الحسن المغفل وهارون الرشيد مارون النقاش عام 1849)، حينما عرضت على مسرحه في بيروت، وفي ذلك يقول العلي (وعندما وجدت أن شخصية أبي الحسن مختلفة في المصدرين السابقين، طرأت على مخيلتي فكرة شخصية ثالثة أطلقت عليها اسم "أبو الحسن الثالث")، وفي تعريفه لفكرة المسرحية (إن الفكرة كما هي تبدو ساذجة، إلا أنني أخذت المعنى العام لها، وهو الرجل غير المناسب في المكان غير المناسب وبالعكس....) وأكد ارتباط المسرحية بالواقع المعاش قائلاً: (وهذا ما نعانيه في بعض إدارات الدولة، من عدم وجود الرجل المناسب في المكان المناسب). (حسن يعقوب العلي، يونيو 1976، ص 4)

ويذكر الدكتور محمد مبارك بلال حول بعض من الأحداث والظروف التي عاصرها المؤلف وقت كتابة هذا النص: (مسرحياته تميزت بأنها تعالج قضايا عربية تستلهم التراث العربي، إضافة إلى إيمانه بأن اللغة العربية هي الأمل للتعبير عن هموم الإنسان العربي في المسرح، ويتضح هذا الاستخدام من خلال مسرحيته (عشاق حبيبة) و(الثالث)، والذي اعتمد فيهما على اللغة الفصحى، ومسرحية الثالث تنتمي لمسرح الإسقاط السياسي في المسرح الكويتي لمرحلة السبعينيات [.....] وتدور ثيمة مسرحية الثالث حول التساؤل الأزلي، من يحق له أن يحكم الأمة وبأية وسيلة؟ ومع أن هذه الثيمة مألوفة في هذا النوع من المسرحيات، إلا أنها تكتسب أهمية خاصة في إسقاطها على الواقع الكويتي، حيث عرضت بعد شهرين من حل مجلس الأمة الكويتي عام 1976). (محمد مبارك بلال، 1994، ص 108، 109)

وهذا يدل على القدرة الهائلة للفنان في رصد الخلل في المجتمع، وقراءة المقدمات المنطقية للأحداث، وما يجب أن يحدث، وأن هذا الخلل يجب أن يشار إليه، ويعالج قبل أن يستفحل.

ويمكن القول إنّ الكاتب استفاد من فكرة استغلال نص تراثي في عملية تناص، تتيح له إمكانية تطوير فكرة اختمرت لديه سابقاً، وأن يقدم شكلاً جديداً في المسرح، على غرار سابقه في المسرح العربي.

ولعل استحضر الكاتب لحكاية من التراث، كان الغرض منه استعراض ومناقشة إشكاليات مجتمعية وسياسية مستمدة من الواقع، تنحصر تحت مفهوم الظلم والعدالة، وعلاقة الحاكم بالمحكوم، وقد يكون هذا التراث خير معين في إبراز بعض قضايا الواقع المحلي والعربي، الذي ينتقد السلطة والسياسيين فيها، وكما فعل غيره من بعض كتّاب الوطن العربي.

وعلى هذا النحو تمت معالجة بيئية لموضوعات إنسانية سياسية عربية واسعة، وبدا أن الكاتب المسرحي المعاصر تختلف مهمته واتجاهه كثيراً، فيما يتعلق بالتراث (ولقد أدرك المؤلف ذلك تماماً، فاعتمد حكاية أبي الحسن المغفل معلقاً الواقع الاجتماعي السياسي العربي عليها، والأمر نفسه تحقق في مسرحية "الملك هو الملك لسعد الله ونوس") (محمد مبارك الصوري، ص 193)

في دراستنا لمسرحية (الثالث) لا بد أن نشير إلى بعض القضايا المهمة وننبّه إليها، وهي أننا لا نجد فيها من حكاية المغفل إلا الإطار الخارجي للرجل الذي يتمنى الوصول إلى الحكم كي يصلح ما أفسدته السلطة، وفي المقارنة بينها وبين معالجة الكاتب السوري سعد الله ونوس ذكرت مجلة الحياة المسرحية: (وتلك معالجة تختلف عن معالجة الكاتب سعد الله ونوس في مسرحيته الملك هو الملك 1977، حيث نظر إلى الحكاية بمنظار آخر، وتطرق في نصه لمناقشة أكثر من قضية) (سعد الله ونوس، ص 117 وأيضاً ص 179)

ولا شك أن مسرحية (الثالث) تعالج موقف الإنسان على اختلاف انتمائه من عملية الاختيار الصعب بين الحكم الديكتاتوري المستبد، وبين الديمقراطي القائم على المرونة والتساهل في الحكم والإدارة.

هذا التقديم ما هو إلا محاولة للإلمام قدر المستطاع بمحاولات الكاتب حسن العلي، الساعية إلى خلق انعكاس جدي للواقع السياسي المحيط به وبغيره على خشبة المسرح، مستغلاً بذلك مسرحية (الثالث)، وعملية التناص فيها، وإعادة معالجة حكاية تراثية شهيرة، وإن كانت بشكل مسرحي تقليدي، ومضمون يخدم فيه واقع المجتمع والسلطة وقضية الحكم والعلاقة التي تربط الحاكم بالمحكوم، ومناقشة مشكلات الحكم الديمقراطي في شكل تسيطر عليه بعض الأنماط السياسية وأيديولوجيات الملك أو السلطان أو الحاكم.

### إشكالية البحث:

ومن هذا المنطلق فإن إشكالية البحث تدور حول كيفية أدلجة الواقع والمسرح، وكيفية التعبير عن هذا الواقع، في هذه المعالجة؟ ولماذا لجأ الكاتب إلى التراث وشكل الحكاية الشعبية، واعتمد على النص الفصيح دون النص العامي؟ وما هي القضايا والأبعاد السياسية والنماذج التي تم التركيز عليها وكيفية إدانتها؟ وكيف تأثر الكاتب بالتجريب المسرحي المستند إلى مفاهيم معاصرة في إغناء ثيمته الأساسية، وماهي سماتها الفنية والفكرية؟

#### أهداف البحث:

تكمن الأهداف الحقيقية وراء تقديم هذه الدراسة، وبناء على ما ورد فيها من إشكالات مثارة، في محاولة استنباط العلاقة الجدلية القائمة بين المسرح ككيان أدبي، وبين البنية السياسية المتطورة، ذلك أن المسرح تجربة واقعة في الوعي الجمعي مأخوذ من أرض الواقع، متلازم مع المتغيرات في البنى الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، ومحتك بها زماناً ومكاناً .

كما تهدف الدراسة وبشكل مركز إلى استنباط وتبيان مدى الإفادة من العودة إلى التراث وعطاءاته، وإمكانية ملاءمته للطروحات السياسية وأبعادها، والتحرر من الاستسلام والهيمنة التي يفرضها الشكل الأوربي للمسرح، والعودة بنا إلى الأصالة والعراقة وإلى هويتنا المسرحية .

#### أهمية البحث:

تبرز أهمية هذه الدراسة في إظهار المستوى الثقافي وآلية الكتابة ومفاصل تطورها عند الكاتب المسرحي الكويتي منذ سبعينات القرن الماضي، وفهمه العميق للصورة الدرامية وإيحائيتها ورمزياتها المناسبة، وذلك من خلال تناوله الشكل التراثي كوسيلة فنية موضوعاً لمسرحيته ومعبراً فيه، عن فكره وطرحه السياسي .

#### منهج البحث العلمي:

أما فيما يخص المنهج العلمي المستخدم في هذه الدراسة، فسيتم التركيز بشكل أساسي على المنهج النقدي التحليلي، الذي يعتمد على تحليل وتفسير النصوص المسرحية .

#### الدراسات السابقة:

من الجدير بالذكر أن لا نغفل الدراسات التي قام بها كل من الدكتور إبراهيم عبدالله غلوم ، ومؤلفه الذي حمل عنوان ( المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي) عام 1985، وكذلك دراسة الدكتور محمد مبارك الصوري (الأدب المسرحي في الكويت) عام 1993، ووصولاً إلى دراسة الدكتور محمد مبارك بلال(مقالات في النقد المسرحي) عام 1994، وقد جاءت هذه الدراسات لتسلط الضوء على مجمل المواضيع المسرحية بشكل عام، ورغم أهميتها فإنها لم تأخذ أو تبحث في موضوع مسرحية الثالث بشكل مفصل أو بتحليل علمي معمق، وإن استفاد منها الباحث في بعضٍ من أجزائها للتدليل وإثبات وجهات النظر.

ومن الدراسات السابقة المهمة أيضاً التي تناولت الموضوع السياسي في الكويت عام 1975 دراسة الفنان محمد المنصور التي قدمها في سنة 2007 تناول فيها البعد السياسي في الإخراج المسرحي الكويتي، وعمل على إظهار تجربته كمثل في هذه الدراسة وكيف تأثر المسرح الكويتي بمجمل الأوضاع السياسية المحيطة في دولة الكويت، والأحداث الإقليمية، وعلى سبيل المثال لا الحصر نكسة يونيو 1967، وما تبعها من انتصارات أكتوبر، ثم عرج إلى تبيان أثر الحرب العراقية الإيرانية عام 1980، وقد وثق الفنان محمد المنصور في دراسته تأسيس الفرق المسرحية في الكويت وعلاقتها بحركة المسرح في بعض من الدول العربية، حيث اكتفى مركزاً على الجانب التاريخي في هذه الفترة الزمنية.

ولا يغفل أخيراً من دراسة حديثة قدمها الدكتور فيصل أبو صليب التي جاءت بعنوان (المسرح السياسي في الكويت)، وتقصى فيها الباحث التعريف السياسي والخلفية التاريخية له، والعوامل التي ساهمت في ظهور المسرح السياسي في الكويت، مع شرح بعض من الظروف التاريخية السائدة آنذاك، وتناول فيها بشكلٍ علمي، بعضاً من مفاهيم المسرح السياسي لدى بعض كتاب المسرح العالميين أمثال بسكاتور وبريخت، ثم استعرض نماذج مسرحية كويتية ألفها سعد الفرج وبدر محارب وصقر الرشود وعبد الأمير التركي وغيرهم، و لم تتخلل دراسته تحليلاً فنياً معمقاً وواقعياً على نموذج مسرحية الثالث للكاتب حسن يعقوب العلي - موضوع الدراسة-.

### مسرحية الثالث: دراسة تحليلية

في المنظر الذي حدده الكاتب يمكن القول إن المشهد الأول، في الفصل الأول، يستحضر بشكل صادم حالة الركود المجتمعي، والتقسيم الطبقي لهذا المجتمع، من خلال الديكور البسيط، ومقهى أبي الحسن الذي قسم على أساس مرتبة الفئات الموجودة فيه، فخصصت هنالك مقاعد مريحة للنخبة من الناس، ومقاعد أخرى متواضعة للعامة منهم، وأخيراً ذلك من الطين لاستراحة الفقراء والشحاذين، وهذا التقسيم يجري المكان بشكل طوي، إذ يقسم المكان المقسم أصلاً إلى ضفتين، والمكان مقهى، ودائماً المقهى يوحي بالخمول والركود والثثرة، واللافعال، وبدوره يتيح لقاء المتناقضات على ذكته المتنوعة، والمصنفة طبقياً، وكأننا نشاهد صورة مصغرة عن المحيط البائس الذي يحيط بالمكان، والذي سيوضحه الحوار فيما بعد.

ولم يجر تصنيف هذه الأمكنة داخل المقهى عرضاً أو بشكل عشوائي، ولكن لمسوغاتٍ درامية تعزز الفكرة الرئيسية للنص المطروح من جهة، وتحدد من جهة أخرى توجه الكاتب الأولي، ورغبته في بدء الفعل من قبل الناس الهامشيين، ولم يبدأ الفعل من رأس الهرم، وهذا بحد ذاته يمكن اعتباره نهجاً ثورياً، وهي إشارة أولى إلى الفئة المتظلمة التي سينطلق الفعل من معاناتها، التي يجب أن تحمل لواء التغيير، لأنها هي صاحبة المصلحة في ذلك، وهي المستهدفة من قبل الفئات المستغلة.

ونحن نتبين مدى ارتباط هذا المنظر المصمم، بما سوف تسرده أحداث المسرحية، التي نجحت من خلال تسلسلها، في عكس هيمنة الفقر والقهر على عدد كبير من أفراد المجتمع، في ظل سيادة التاجر الثري أبي غالي بمساندة قوية من الوالي ابن غانم، وعدائيته الواضحة لشخص أبي الحسن وسعيه إلى تدميره، مؤكداً بذلك انتماءه إلى رموز الفساد في المدينة، ويتضح فساده من خلال استغلاله

حالة العشق الذي يكنه الوالي ابن غانم لابنته (جوهرة)، والتي تبادل بدورها أبا الحسن قصة حب شبه سرية، فيحاول أبو غالي أن يدعم موقفه الدنيء، بتخويف الناس من والي المدينة.

أبو غالي : سأعود بعد قليل ومعني الوالي نفسه.

عنبر : لماذا ؟

أبو غالي : لكي أطرركم بعيداً عن المقهى والسرداب والحي بأكمله ...

[.....]

عنبر : سيأتي بالوالي والشرطة ..... (حسن يعقوب العلي، ص23، 26)

تبدو في الحوار السابق إشارة إلى قوة العلاقة التي تربط التاجر بالسلطة والحاكم، ومدى انحطاط أخلاق نموذج أبي غالي في استغلال ابنته، كأداة للوصول إلى ما يريد، الأمر الذي يزيد في إبراز درجة الطغيان.

وقد أعطى الكاتب صفة القوة والعنجهية والاستبداد لشخص أبي غالي، ومهد على لسان هذه الشخصية لعرض تفشي الفساد داخل حدود هذه المدينة، التي يقطنها الفقراء ومن بينهم أبو الحسن، كما أعطاه قيمة فاعلة بدعم من الوالي لآلية هذا الظلم والقمع.

إن هيمنة مفسد السلطة على مجتمع ما قادرة على تشويه صورة أفرادها، والهبوط بهم إلى أدنى مستويات الأخلاق والمبادئ. فإلى جانب النموذج الفاسد في رمز أبي غالي، هناك من يؤصل ويكرس هذا الفساد الأخلاقي، وهذا ما يتجلى في شخصية كل من عنبر صبي القهوة، والمشعوذ أبي يوسف وممارساتهما اللاأخلاقية، التي تفتقر إلى الضمير والإخلاص. والتي تبرز كيف يولد الطمع والجشع في نفوس الناس في ظل سياسة القهر، وكيف يتحالف الفاسدون من أجل مصالحهم ومنافعهم الضيقة وتحقيق مآربهم:

أبو يوسف : تعال هنا .. اقترب (بصوت خافت) تستطيع أن تجمع المبلغ في ظرف أسبوع.

عنبر : ويلي .. أسرق سيدي .. هذا حرام.

أبو يوسف : فأسرق لك الوظيفة [.....] الدنيا اليوم لا تعرف الحرام .. ومع ذلك تستطيع أن تردّها إليه عندما تصبح حاجباً (حسن يعقوب العلي، ص27)

وفي وصفه لشخصيّة عنبر وأبي يوسف، يقول الدكتور أمين العيوطي (قلة الذمة صفة مشتركة بين الاثنين، فهما يشكّلان مجموعة مدانة أخلاقياً منذ البداية) (أمين العيوطي، 1986، ص151 – 154).

يأتي هذا الفصل ليؤكد مسألة الظلم، ويستعرض لنا شكلين من أشكال نتائج النظام القهري لأبناء الشعب: شكل يمثله أبو الحسن والفقراء من أمثال أبي يوسف وعنبر، وإن اختلفت مستويات الأخلاق لديهم، وشكل آخر يمثله أبو غالي، أحد التجار الذين ينعمون بحياة كريمة، وعلاقة طيبة بالسلطة، على حساب المعدمين من الناس، فيعزز هذا الفرق، بين كل من الشكلين الأول والثاني، انطلاقاً الصراع الدرامي وتبلوره، ويبدأ الكاتب في هذا الفصل بالتركيز على جانب مهم في شخصية السلطان، ويحدده بصراعه مع سأمه وملله، في الوقت الذي يعاني فيه شعبه من سوء الحال -على الرغم من مساعيه الدائمة لتوفير حياة كريمة لهم- ومن الظلم والفساد، واستيائه من شكل الفساد الذي يجتاح مدينته، وتردي أحوالها المعيشية.

هنا يتوضّح الانفصال التام بين الحاكم والمحكوم، وكأن كلاً منهما يعيش في مكان منعزل عن الآخر، وربما كان السبب الذي جعل الملل يتسرب إلى نفس الملك قلة الموارد، نتيجة فقر الشعب، لكن هذه الحالة من القطيعة الدائمة ما بين الحاكم والمحكوم هي التي تخلق العداء السافر لهذا النظام، والإرهاق الذي يعانيه الشعب سينعكس بالضرورة على الحاكم باعتباره غير قادر على توفير الأمن والرفاه لشعبه، وهي مهمة مثلها مثل الدفاع عن الوطن، وتهيئة الجيش، مهمة الحاكم تحديداً. وعندما يفتقد هذا الشعب إلى العدل، ويمارس بحقه كل أنواع الظلم، سيلجأ حتماً إلى أكثر من الحلم لتغيير هذا الواقع. ولا يمكن تعليل عدم رؤية السلطان، أو معرفته بالواقع الذي يخص شعبه:

**السلطان :** لا ..... لن نخدع أنفسنا .. إن هذا الفقر الذي نراه من حولنا من أين جاء ؟ وإذا كان موجوداً من قبل فلماذا لم يتحول إلى ثراء كما تحولت الأكواخ إلى قصور وشوارع فسيحة مزدانة بالبرك والمنتزهات في المدينة ؟ حتى لكأن الثراء لا يصيب إلا الوالي ومن في معيته .

**الوزير :** مولاي .. أترى ظلماً في التوزيع ؟

**السلطان :** إني أرى الظلم في كل مكان (حسن يعقوب العلي، مسرحية الثالث، ص 32).

يمثل الحوار السابق تأكيداً كون السلطان محوراً أساسياً وفاعلاً في المسرحية، ومحركاً لأحداثها، فصورة الفضيلة والعدل، التي رسمها الكاتب لتلك الشخصية، تجعل منه باحثاً ومتقصياً عن الحقيقة رافضاً للواقع السيئ، ومصرّاً على إقصاء رموز الفساد، التي ألح إليها في حوار مع وزيره. كما أنها تشير، في نمطيتها وبشكل غير مباشر إلى رموز الحكم في بعض البلدان من دول العالم الثالث، الغافلين عن مواطن الظلم ومصادر القهر والاستبداد في أنظمتهم الحاكمة، على الرغم من تحليهم بالعدل والإنصاف، إلا أن إحساسهم بفساد بعض من معاونيهم كان واضحاً من خلال حوار السلطان مع الوزير في المسرحية .

السلطان: فلماذا لا يقوم كل إنسان بعمله على خير ما يرام؟ لماذا يتهاون الولاة في أداء واجباتهم تجاه الرعية؟ لماذا انتشر الظلم في دولتي؟ لماذا النصب والاحتيال؟ لماذا الجريمة؟ لماذا الأنانية والجشع والطمع؟ لماذا؟ لماذا؟

الوزير: ذلك حب المال يا مولاي ..

السلطان: لا بل هو عدم الإحساس بالمسؤولية .. رعييتي لا تحس بمسؤوليتها .. إنها تريد ولا تعطي .. تأخذ ولا تعطي .. لقد طغت المصالح الفردية على كل ما عداها من مثل وقيم وانتماء إلى هذه الأرض .

[.....]

السلطان: "إنهم يسحقون بعضهم بعضاً وكأنهم الجسد الذي ينهش نفسه ... همهم الوحيد مضاعفة ثرواتكم والتهام البلد بمن فيها". (حسن يعقوب العلي، ص 33، 34)

إن الكاتب يجعلنا نتلمس، من خلال حوار السلطان ووزيره، وبشكل مباشر وبخطاب ثوري رومانسي، نوع المشكلة التي يطرحها مضمون المسرحية، بحيث نضع يدنا على الهواجس التي تحرك الأحداث، وتبلور الرؤية أكثر، حين يصور لنا المشكلة في أبعادها العامة، لا من خلال موقف درامي. إنهما، أي السلطان والوزير، أشبه بجوقة توجه الأنظار إلى تلمس المعنى الكامن في موقف لم يكتمل بعد، فالسلطان يرى أن المجتمع لم يعد أسرة واحدة كما كان، وأن الفقر قد عم، رغم نعمة الله التي هبطت على البلد، وأن الظلم قد نفشى، وأن المصالح الفردية قد طغت. ولعلنا نلمح هنا أن الكاتب يسعى إلى شيء من الترميز والإسقاط المحلي، لدلالات الموقف الاجتماعي على مجتمعه ذاته، قبل أن يستكمل الموقف بدخول جواسيس الوالي - الكاتب والحاجب - ثم الوالي ابن غانم نفسه، فالسلطان والوزير يعمقان المشكلة الخاصة، بشكل حوار، حتى قبل أن تكتمل جوانب المشكلة وملاحمها. وتطراً على بال السلطان فكرة بعد أن تعرّف على الأسباب التي دعت إلى نشر الظلم والفساد، وذلك بتصيب وإلٍ من الشعب قد ذاق مرارة الظلم، وعانى الفقر من قبل، هذه الفكرة التي ابتدعتها مخيلة السلطان، تمثل نوعاً ما حلاً ومخرجاً بالنسبة إليه، حتى يتحقق العدل وينتهي عهد الظلم، فيخاطب وزيره متسائلاً:

السلطان: فأخبرني.. هل هناك مظلوم لا يعرف العدل؟

الوزير: من عانى الظلم أدرك العدل يا مولاي ...

السلطان: فإذا نصبنا هذا المظلوم واليًا على هذه الولاية، أتره قادرًا على إزالة الظلم ونشر العدل؟

الوزير: ذلك يتوقف على الشخص الذي يقع عليه الاختيار يا مولاي .

السلطان : كل الولاة الذين نصبتهم على هذه الولاية كانوا من الأغنياء، الذين لم يعرفوا الفقر من قبل.. فماذا لو نصبنا فقيراً هذه المرة؟( حسن يعقوب العلي، مسرحية الثالث، ص35 .)

وفي هذا يعلق د. إبراهيم عبد الله غلوم عن شخصية السلطان :

(لقد تنازل السلطان في مسرحية (الثالث) عن أيديولوجيته لابن الطبقة الشعبية، بعد أن أعيته السبل في الوصول إلى حل لمشكلات الفقر، والظلم المنتشر في بلاده. وقد رأى، مع وزيره ، أن خير من سيشتع العدل هو من تجرع مرارة الظلم . ومن ثم يتنكران، ويبحثان عن هذا الفقير المظلوم ، الذي سيقم ميزان العدالة، فيجدانه في (أبي الحسن) صاحب المقهى) ( إبراهيم عبد الله غلوم ، 1986، ص352 )

وهذا ما يؤكد أن طغيان الظلم، وتصاعده أمام ناظري السلطان من خلال ممارسات الوالي ابن غانم، قد دعم اقتناعه بهذا القرار، وبالأخص بعد سقوط الأتقعة، وانكشاف أمر جواسيس الوالي، الذين جندهم من أجل متابعة أخبار السلطان وتحركاته .

الكاتب : ( يضع يده على فمه ) أنا ... أنا .. أنا كاتب الوالي وهذا حاجبه .

الوزير : ولماذا خرجتما متتكرين ؟

الكاتب : أمرنا الوالي بذلك ..

الوزير : لماذا ؟

الكاتب : لكي نختلط بالناس ونسأل الغرباء ونعرف منهم، إذا كان حقاً أن السلطان يخرج متتكرًا في الولايات هذه الأيام وحسب الإشاعة [.....] نندس بين القادمين من العاصمة ونسمع أقوالهم .

الوزير : فإذا ثبتت الإشاعة !؟

الكاتب : أخبرنا سيدي الوالي ... ( حسن يعقوب العلي، ص60 ، 61)

وعلى الرغم من النكهة الكوميديّة التي حملها الموقف الساخر لكل من شخصيتي الحاجب والكاتب، وانكشاف أمرهما أمام السلطان، فإنهما يعكسان شكلاً من أشكال القهر السياسي، الذي يمارسه بعض القادة في أنظمة الحكم لبعض البلدان، وهي إحدى الصور التي حاول الكاتب تعريضها أمام المتلقي، وأحد المواقف التي كانت سبباً في تطور أحداث المسرحية في نهاية الفصل الأول، وانكشاف أمر الوالي الظالم ، وعليه سيكون التحول أمر لا مناص منه ، فيأتي قرار السلطان سريعاً وجريئاً .

السلطان : لقد طفح الكيل وبلغ السيل الزبي يا ابن غانم .

الوالي : من ... مولانا السلطان ( يسقط عن حمارته ) الرحمة .. الرحمة يا مولاي

السلطان : لقد طغيت وتجبرت .. ولم ترع الأمانة {.....} { يعزل ابن غانم عن الولاية... (حسن يعقوب العلي، ص63).

ثم يلحق السلطان العادل أمره، الذي صدر بحق الوالي الظالم، بأمر آخر، حيث يعين أبا الحسن الثالث خلفاً له والياً على المدينة. وكما تمنى أبو الحسن أن يتحقق حلمه ويصبح والياً، حتى يقيم العدل ويكافح الفساد المتفشى، الذي عم أرجاء البلاد خصوصاً أنه عانى أنواع شتى من الظلم والاضطهاد، إبان فترة حكم الوالي المعزول ابن غانم .

ومع صدور هذا القرار، ربما يبرز تساؤل بديهي يستشعره القارئ والمتفرج على حد سواء، هو: هل استحق أبو الحسن منصب الولاية؟ وهل كان كفؤاً لها؟ وهل قدم المؤلف أسباباً كافية لاختياره هو بالذات ورفعته من صاحب مقهى بسيط إلى منصب الوالي؟ وهل يكفي خضوع الوالي لعواطفه الجياشة في تطبيق مبدأ العدالة الاجتماعية تحت مقولة (من عانى الظلم أدرك العدل)؟

لعل تسلسل الأحداث القادمة في الفصلين اللاحقين، للمسرحية، يكشفان النقاب عن هذه التساؤلات العديدة.

فمن خلال الفصل الثاني للمسرحية تتحدد وتتضح ملامح التغيير التي طرأت على حياة أبي الحسن ومحيطه، بعد استلامه دفة الحكم، فنراه متربّعاً على عرش الولاية يتسامر مع جاريتيه الحسناء هند، وتنعكس من خلال حوارهما معها سيطرة هاجس تحقيق العدل على كيانه وتفكيره:

أبو الحسن : أعباء الحكم كبيرة وثقيلة ...

هند : وهل ابن غانم أفضل منك ؟ ... ابن غانم كان ظالماً

أبو الحسن : وسأكون عادلاً .. العدل هو العدل .. ولكن كيف أقيم العدل ؟

لقد انتقلت الولاية إلى إنسان بسيط من عامة الشعب وهو الفقير المظلوم، الذي يضمّر في صدره نقمة شديدة على الأغنياء والتجار. هكذا فسر د. إبراهيم غلوم موقف أبي الحسن العام، ويتابع تحليل نتائج تولّيه الحكم قائلاً :

(لقد حكم أبو الحسن على نفسه منذ البداية، فقال في لهجة صارمة للحاجب: "بل الإنسان عندي مظلوم ما دام فقيراً، فإذا اغتنى أصبح ظالماً"، ورغم عرضية هذه العبارة بالنسبة إلى التخطيط الدرامي، سواء في الأصل الشعبي للحكاية، أو في بنائها المسرحي الجديد، فإنها تفصح عن رغبة شديدة في مقاومة الأيديولوجية اللاديمقراطية، وتلقي بظلال من الشك على النزعة الحيادية، التي مضت المسرحية في تجسيدها) (إبراهيم عبدالله غلوم، ص 352)، وهنا نلمس موقف الكاتب جلياً، بحيث يمكن

تأكيدده واختصاره بجملة" ليس كل من يظلم قادرًا على نشر العدل، ولا يمكن لأي إنسان أن يكون حاكمًا، حتى لو رغب في ذلك، أو حلم به."

إنه من الممكن القول إن الكاتب- ومن خلال شخصية أبي الحسن- يحاول الإشارة، وبشكل غير مباشر، إلى ما وقع في بلدان العالم الثالث، ومنها البلاد العربية، من تنصيب أشخاص في مناصب سياسية وهم يفتقدون، بل ويفتقرون إلى أبسط المقومات والمؤهلات والشروط الأساسية للحكم والإدارة، انطلاقاً من دوافع التغيير والاشتراكية والثورية، ما ينعكس بالتالي سلباً على نظام الحكم، فيطغى هنالك القهر والاستبداد، بدلاً من العدل والمساواة، اللذين نادى بهما هؤلاء، ممن سنحت لهم الظروف لستلم زمام الأمور في البلاد، ويتسبب ذلك في النهاية في تزايد أعداد المعارضين لنظام الحكم، وبالمقابل زيادة جرعات التسلط على أفراد الشعب .

ويتضح ذلك أكثر في المسرحية، من خلال هاجس العدل الذي عكسته شخصية أبي الحسن، والذي دفع به إلى إصدار قرارات عشوائية غير مدروسة، مبنية على ردود الأفعال والمخاصمة واتخاذ إجراءات، دون دراية منه أو تمحيص، تفتقر بحد ذاتها إلى الحكمة والرؤية، وتضر بسير عملية الحكم، فبدت انتقاماً شخصياً لثارات قديمة يحملها أبو الحسن تجاه كل من يرى في سلوكه، أو ماضيه، ظلماً من نوع ما. إلا أن أبا الحسن يتمسك بها، ويفرض التنازل عنها، ومن الواضح أيضاً أنه عاجز عن تحديد معنى هذا العدل الذي يريده، وعاجز عن تحديد السبيل إلى تحقيقه في كل صغيرة وكبيرة، ويجهل الكثير من بواطن الأمور إلى درجة أنه ينهي مهام من حوله من موظفي القصر، خوفاً من انقلابهم عليه، كونهم من أدوات النظام السابق، وفي الوقت نفسه ينتشر الخوف والرعب من تصرفاته، بين حاشيته الجديدة:

أبو الحسن : أنا لا أثق بجاسوس .. أعطني الخاتم .

الكاتب : أمر مولاي ( يقدم له الخاتم )

أبو الحسن : ( يأخذه ) لن تستطيع أن توقع ما تشاء بعد الآن .. سأقرأ كل كتاب وأوقعه بنفسي... ( حسن يعقوب العلي ، ص 75 )  
لقد بدأ أبو الحسن، فعلاً، بعزل الجهاز الفاسد القديم من المساعدين، وحثته في ذلك أنهم نشأوا على ظلم الناس، ثم يأتي القرار الذي يتخذه بسجن الوالي السابق، وإطلاق جميع من سجنهم دون استثناء، وفي أثناء هذه الفترة يظهر المتحذلقون والمنافقون، ممن يسعون إلى كسب رضا الوالي الجديد أبي الحسن، وفي ذلك إشارة واضحة إلى بعض المحيطين ممن يوصفون بالبطانة الفاسدة وعلاقتهم بأنظمة الحكم في بعض بلدان العالم الثالث، والساعين إلى إثبات مكانتهم والحفاظ على مصالحهم الشخصية . وفي مسرحية (الثالث) تظهر هنالك فئتان منهم : فئة يمثلها أبو يوسف المشعوذ الدجال، الذي يتستر خلف قناع التدين والخوف من الله، وعنبر صبي القهوة، الذي يسعى إلى التسلق كما حصل لسيدته، وفئة يمثلها أبو غالي التاجر الطماع، وبقية التجار وكبار المسؤولين في البلاد، الراغبين في الحفاظ على ترفهم الاجتماعي بشكل شرعي أو غير ذلك.

أبو يوسف : أليس من العدل إكرام ذوي القرى ؟

أبو الحسن : هذا حق

أبو يوسف : وطيب أمك .. أليس من ذوي القرى ؟

أبو الحسن : فماذا تريد ... ؟

أبو يوسف : ليس أكثر من وظيفة أمضيت عمري أحلم بها ..

أبو الحسن : وما هي ؟

أبو يوسف : أمانة بيت المال ( حسن يعقوب العلي، ص 98 ، 99).

وليس النفاق والتملق من نتائج تولي أبي الحسن للولاية وحسب ، بل ظهرت أيضاً سلبيات عديدة، كفضية الرشوة والابتزاز في سبيل مصلحة الفرد الواحد، ونشهد ذلك من خلال حوار أبي غالي والموظفين السابقين في القصر :

أبو غالي : لقد عملت حجاباً بألف درهم يجعله كالخاتم في أصبعي

الحاجب : فتشفع لنا عنده

أبو غالي: وتدفعون نصف ما دفعت ؟

الكاتب : ندفع

أبو غالي : لا .. بل تدفعون كل ما دفعت

الحاجب : ندفع

أبو غالي : لا .. لا .. ليدفع كل منكم ألف درهم

مسرور : ما هذا يا أبا غالي .. ؟

أبو غالي : تدفعون .. أم أرفع السعر ؟

الجميع : ندفع .. ندفع .. ( حسن يعقوب العلي، ص 83).

وفي حوار يجمع بين كبار مسؤولي الولاية، تنعكس ملامح عملية الرشوة كسلوك اعتاد عليه الراشون، كما تتضح في الحوارات القادمة تأكيدات أن سلبيات النظام الحاكم الجديد، الذي يمثله أبو الحسن، في نمو مستمر، على الرغم من صفة الحزم التي اتخذها لنفسه في تعاملاته مع من حوله، وسعيه الدؤوب إلى إقامة العدل الكامل. هذه الرغبة في الوصول إلى الكمال دفعت به- في سياق المسرحية- إلى محاربة أطراف قوية ككبار التجار في المدينة، والوقوف في طريقهم .

أمين بيت المال : هدية ثمينة .. وكلمات تهنئة رقيقة تفي بالغرض.

رئيس الري والزراعة : كما فعلنا مع ابن غانم .

أمين بيت المال : وسيصبح بعدها من الأصحاب .

رئيس الري والزراعة : كما أصبح ابن غانم من قبل .

أبو الحسن : اكتب .. اكتب .. على كل التجار والباعة، الصغار منهم والكبار، بتخفيض الأسعار إلى النصف، بأمر الوالي أبي الحسن، ومن يخالف هذا الأمر يسجن .. ( حسن يعقوب العلي، ص 86 ، 87).

لقد عالج أبو الحسن من داء الظلم بدواء لا يختلف كثيراً عن نوعية الداء الذي يرغب في مكافحته، فهذه القرارات الجريئة، غير المدروسة، جعلت منه نموذجاً ظالماً ولكن من نوع يختلف عن أسلوب وظلم الوالي السابق ابن غانم إبان فترة حكمه السابقة.

يذكر الدكتور محمد حسن عبد الله (إن أكبر سقطات أبي الحسن هي هذه الأحكام الشمولية، التي يطلقها دون تمعن في التفاصيل، أو مراعاة أوجه الاختلاف والاستثناء.. فهو يعزل معاوني الوالي السابق بالجملة، دون أن يلاحظ أن بينهم من يستحق السجن، ويقرر أنه "يظل عندي الإنسان مظلوماً ما دام فقيراً، فإذا اغتني أصبح ظالماً!!" ويعلن خفض الأسعار إلى النصف دون تفرقة بين تاجر و آخر، أو سلعة وأخرى. وهذه القرارات الاشتراكية التي اتخذها أبو الحسن، على أساس شعاره المرفوع - إذا اغتني الإنسان أصبح ظالماً - هي نفسها شعارات العسكر الثورية التي رفعوها في حركاتهم الانقلابية على أنظمة الحكم لديهم، وتنتج عنها في النهاية مساواة الجميع بالفقر والبطش، وثناء دائرة صغيرة حول الزعيم الجديد، تسهر على تطبيق شعاراته الثورية. وحمل أبو الحسن نفس الأخطاء، وإن بقي هو شخصياً خارج نطاق دائرة المستفيدين، وأنه لم يصنع شيئاً لنفسه، وأنه كان يهدف إلى النفع العام، غير أنه في سبيل هذا الهدف أدخل نصف شعبه إلى السجن ودفع بالبلد إلى الشقاء). ( محمد حسن عبد الله ، ص 123)

ولعل في ما سبق ذكره نوعاً من الإسقاط السياسي، واستظهار نموذج النمط المستبد، وإشارة إلى بعض أشكال الظلم والطغيان الذي تمارسه الأنظمة الحاكمة، التي تزخر بها بلدان العالم، والرغبة الشديدة في تعميم العدل والسلام باستخدام وسائل ظالمة قامعة، فينسب إلى هذه الأنظمة بالتالي صفة الاستبداد على الشعوب، وتنبت رؤوس المعارضة، ومقاومة السلطة بالمقابل.

وعلى هذا النحو يستمر الوضع في الفصل الثالث على ما كان عليه بالسابق، ولكن بحلول اليوم السابع والأخير، من المدة المحددة من قبل السلطان لولاية أبي الحسن، تزداد المعارضة من قبل التجار على قراراته لما لها من تعارض مع مصالحهم التجارية، وكذلك نجد أنه على الرغم من انعدام ثقة أبي الحسن بمن حوله، فإنه يولي بعض معارفه السابقين، ومن بينهم والد حبيته جوهره (أبو غالي)، مناصب إدارية في القصر، وقد يكون لهذه المحاباة انعكاس واضح، لشكل الحكم والسلطة في إدارات بعض الدول على أرض الواقع، لتحقيق المصالح الضيقة المشتركة، خصوصاً حين يشرف على إدارتها الوصوليون سيئو الأخلاق والمتسلطون، في حين أن ذلك الأمر لم يخفف من حدة القلق، الذي يعاني منه أبو الحسن وفقدان الثقة بالمحيطين به من جهة، ومن جهة أخرى ينبغي له بناء تحالفات جديدة تمكنه من ممارسة الحكم مع شخصيات تحيط به رغم معرفته بفسادهما:

أبو الحسن : ليس عندي من أعتد عليه .

هند : إنك لم تبق على أحد .

أبو الحسن : وماذا أفعل ؟ ليس من بينهم من يخلص في أداء واجبه... هذا مهمل .. وذاك نصاب .. والآخر مرتش أو مبتز .. هل أدع هؤلاء في أعمالهم..؟ ( حسن يعقوب العلي، ص118)

إن القوة والثقة اللتين تحلى بهما أبو الحسن في بداية حكمه في الفصل الثاني من المسرحية، نجد أنهما اهتزتا مع أحداث الفصل الثالث، مع إحساس الوالي الجديد بأن مبادئ العدل، التي جاء بها إلى عرش الحكم، ليست بمقدار العدل الذي تصوره، والمعارضة التي تلقاها قد أثبتت ذلك ..

كبير التجار: بلغ سيدك، باسمي وباسم جميع التجار والباعة أصحاب الحرف، نحتج على وجوده في الولاية ونطالبه بالاستقالة من منصبه . ( حسن يعقوب العلي، ص121)

إن الكاتب يوحى من خلال شخصية كبير التجار بصعوبة تطبيق القانون، والسيطرة على كبار القوم المتنفذين، فرغم غبار الأحكام المسبقة، الذي ارتفع في حوار المسرحية، فإن ما يستهدفه الكاتب حقيقة هو القول بجمالية بقاء الظلم، ما دام الحكم قائماً على أيديولوجية الفرد، هذا من جانب، ومن جانب آخر يصور الكاتب ملامح الظلم، الذي لحق بكبير التجار، ليدحض بالحجة البالغة حال المدينة الذي تردى على لسان الوزير في حوار مع السلطان، واختلافهما في وجهات النظر:

الوزير : لقد أقامها واليكم الجديد ولم يقعدا بعد يا مولاي {.....}

السلطان : إنه يفعل ما يراه عدلاً ولا شك ....

**الوزير :** هذا صحيح .. ولكن من غير دراية بالأمور يا مولاي {.....} ، أرجو ألا تفاجأ يا مولاي بأنه حكم الرعية ظلمًا لا يعرف العدل .. وقسوة لا تعرف الإحسان

**السلطان :** لا أعتقد ذلك .... فلقد تجرع كؤوس الظلم وأدرك ما يعانيه المظلوم ، ثم إن كل الأسماء التي وردت في كتابه ثابتة عليهم التهم كما يقول .

**الوزير :** ولكن كبير التجار يخالفه الرأي .. ويعتبره ظالمًا .

**السلطان :** هل وردك كتاب منه ؟..

**الوزير :** واستلمته صباح اليوم .. ويحتوي على مائة توقيع من الأعيان والتجار وكبار الموظفين يطالبون بعزله .. ( حسن يعقوب العلي، ص 125 ، 126.)

إذن، وبلا شك، فقد استعمل والي الجديد (أبو الحسن) أسلوب القهر والقوة نفسه، الذي استعمله غريمه (ابن غانم) والي السابق، فقد حمل عصا الظلم والطغيان، وتشابهه إلى حد كبير معه، واستعار أدوات القمع التي استخدمها سلفه، وطبق حكمه الصارم انطلاقًا من شعاره المعلن (العدل لا يعرف الرحمة). يقول الدكتور غلوم عن شخصية أبي الحسن (فرجم التجار، وأتباع والي، بأحكام، دون أن يناقشهم فيها، وعمل على تأثيمهم بشتى الطرق، من أجل أن يبرر لنفسه العدوان عليهم. ومن ثم انتهى إلى نفس المآزق، الذي انتهى إليه والي (ابن غانم) وهو قيامه بفعل الاضطهاد، وتمثيله الصحيح لنمطيته، وخاصة عندما أصبح بمثابة المثل الأعلى لمن يطلق العنان للعدوانية الذاتية). (إبراهيم عبدالله غلوم، ص 355 .)

لقد تعمّد الكاتب في الفصل الثالث، أن يضع على المحك أقطاب الصراع الدرامي (ثورة كبير التجار وسجنه، واستشارة أبي الحسن منه) شارحًا ومبينًا استحالة إيجاد العدالة الاجتماعية، وصعوبة تحقيقها على أرض الواقع، بجميع الوسائل التي يراها والي من وجهة نظره مناسبة، حتى لو صاحب ذلك حسن النوايا والغايات النبيلة، وتطبيق القانون على الكبير قبل الصغير. فالسياق الدرامي على امتداده- منذ الفصل الأول- والصراع بمختلف مستوياته، يرصد هاتين الكاتبتين عبر معاناة هذا (المغفل) البسيط المعدم قبل أن يصير واليًا، وفي أيام ولايته التي شارفت على النهاية، ويجعل المتلقي الحاضر لهذه الأحداث في تشويق ولهفة لمعرفة ما ستنتهي إليه في يومها الأخير، وسيكون الاستجواب قاسيًا ، لا يعرف الرحمة .

لقد حان وقت الحسم والفصل في تجربة حكم أبي الحسن والي المؤقت، الذي يتحدّر من حي شعبي فقير، صاحب المقهى المستبد العادل، الذي لم يكن سوى نموذج مضادٍ للأفكار والقيم الديمقراطية، فقد بدأت محاكمة والي في يومه الأخير وحانت ساعة الصفر، وتسلم دفة التحقيق في تجاوزاته وصلاحياته الوزير وصاحب السلطان وأقرب المقربين إليه.

الوزير : حسناً ... فماذا فعلت خلال الأيام الستة الماضية؟

أبو الحسن : أطحت بالظلم وأقمت العدل .

الوزير : عظيم . فما القرارات التي اتخذتها بهذا الخصوص ؟

أبو الحسن : القرار الأول ... العفو عن جميع سجناء ابن غانم

[.....]

الوزير : هل تحققت من براءتهم؟

أبو الحسن : كلهم أبرياء.

الوزير : يا أبا الحسن السجن يضم اللصوص، والمجرمين، وقطاع الطرق، وقد يكون من بينهم أبرياء... ولكن ليس الكل .

[.....]

أبو الحسن : أمرت بتخفيض الأسعار إلى النصف .

الوزير : يا له من قرار .. وعلى أي أساس استندت؟

أبو الحسن : على أساس أن الظلم القائم غير جائز، وأن الغلاء استحكم في الولاية .. وأن التجار يبيعون سلعهم بأضعاف ثمنها.

الوزير : وهل اطلعت على الأسعار ؟

أبو الحسن : هذا الأمر يعرفه الكبير والصغير .

الوزير : وكيف أصبح معروفاً ؟

أبو الحسن : الكل يعلم أن الأسعار مرتفعة جداً، وأن التجار يضاعفون أرباحهم والكل يشكو الغلاء ...

الوزير : الوالي العادل هو الذي لا يقيم حكمه على الإشاعات .. الوالي الجيد هو الذي يعتمد على الوثائق والحجج يأخذها من مصادرها..

الوزير: وماذا عن كبار الموظفين الذين ألقيت بهم في السجن؟

أبو الحسن: لقد أخذوا بذنوبهم.. وهذه اعترافاتهم مدونة في هذه السجلات.

الوزير: ولكن كبير التجار يقول بأنك كنت تنتزع الاعترافات منهم بالقوة..

أبو الحسن: وكيف كنت تريدني أن أدفعهم إلى الاعتراف بذنوبهم؟

الوزير: بالأدلة والبراهين

أبو الحسن: إنهم لا يتركون وراءهم أثراً...

الوزير: وكيف أخذتهم إذا؟

[.....]

أبو الحسن: ... لا يمكن للعدل أن يستتب إلا بالسوط (حسن يعقوب العلي، ص 151 - 159).

إنه وعلى الرغم من أهدافه العادلة، وغاياته النبيلة، فإن وسائله المستخدمة كانت له بالمرصاد، ودفعت به إلى اعتباره طاغية ومتسلط.

ومما لاشك فيه أن هذا الاستجواب والتحقيق الذي وجهه الوزير إلى أبي الحسن، قد صنف الأخير من ضمن شخصيات المسرحية المدانة، فرغبات أبي الحسن السامية في تحقيق العدل والسلام في مدينته، لم تستطع أن تشفع له لدى السلطان ووزيره، الذي اعتبره من ضمن مجموعة الطغاة، الذين يحكمون الناس بسياسة القمع والتخويف والترهيب، هذه السياسة التي لم تترك فرقاً كبيراً بين أبي الحسن والوالي السابق ابن غانم، فهما في النهاية وجهان لعملة واحدة ويمثلان بلا شك صورة للنمط السياسي المدان.

إن شخصية أبي الحسن في المسرحية، عجزت عن تقديم المبررات الحقيقية للدفاع عن نفسها بشكل كامل، وعجزت عن إخراج نفسها من قائمة الأطراف الظالمة، التي حاول محاربتها في بداية المسرحية، وعلى الرغم من عدم الاقتناع بردوده. نجدده يكابر ويصر على موقفه في اتباع هذه السياسات، تأكيداً منه نقاء غاياته ومساعيه التي يرمي إليها وإن تشابه مع ابن غانم في فرض هيمنته وسطوته.

أبو الحسن: الرأي الأخير لك يا مولاي.. فيما أن تقبل أسلوبه وتأخذ به وتصادق على الأحكام.. وإما..

السلطان: وإما ماذا يا أبا الحسن؟

أبو الحسن: وإما أن أعود إلى المقهى؟ (حسن يعقوب العلي، ص 159).

لقد اتجهت هذه الخاتمة المفتوحة إلى عناصر الحياد، والابتعاد عن إصدار الأحكام القاطعة، غير أن سياقها الدرامي الذي يقود إليها لم يرسم بالصورة غير المنحازة نفسها، لأنه يحفل بالكثير من الحجج والأحكام، التي نراها بمثابة التعليق على جميع شكوك الوزير وردود أبي الحسن، فالاحتمالات المتوقعة في خاتمة المسرحية محكوم عليها على لسان أكثر من شخصية، وفي عدة مواقف، وأبلغ هذه الأحكام أن أبا الحسن يقر بعدم قدرته أو استطاعته أن يحقق العدل الذي يريده، لأنه يجد نفسه وحيداً منفرداً في بحر متلاطم من الظلم، لذلك فهو يتساءل: (كيف أقيم العدل؟) فيأتي الجواب من مستشارته وجارته هند: (عندك العقل يا مولاي فاسمع شكواي الرعية، واستشر، وفكر بما ثم احكم) ولكنه يرد عليها بعبارة تعكس بأسه وقنوطه ( لكن واحد .. واحد بين عشرات الظلمة في دوائر الولاية..).

ويتردد صدى تشكيك الكاتب في عدالة الحاكم الفرد، ومنابع معتقداته الفكرية على لسان السلطان، الذي كثيراً ما يُرجع الظلم إلى عدم الإحساس بالمسؤولية، لقد قال بذلك قبل أن يعطي الولاية لصاحب المقهى الفقير أبي الحسن، قاله بعد أن استشعر باستمرارية الظلم، رغم وقوف الفقير المظلوم حكماً على الظلم، ما يعني أن هناك شعوراً قوياً بأن القضاء على الفقر والقهر لا ينحصر بثقافة الفرد العامة وردود أفعاله، وإنما يكون بالأيدولوجية الديمقراطية، التي تشرك الجميع في مسؤولية القرار أو الحكم.

ثم نجد أن كاتبنا يوجه تشكيكاً دقيقاً مركزاً على عدل ونزاهة الحاكم، الذي يجعل القوة والظلم وسيلتين لاستتباب العدل، بدلاً من أن يجعل الحوار والمشاركة وسيلتين لهذه الغاية كما فعل أبو الحسن، الذي استخدم العنف ليسود العدل، فبات ظالماً لنفسه وللجميع، حتى أقرب المقربين إليه مثل ( هند ) وحبيبته (جوهرة) اللتين تشككان في عدالته، بينما هو يقول لهما بلا هوادة: ( العدل لا يعرف الرحمة )، بل إننا نلمح في مشهد لقاء أبي الحسن مع مسرور، حامل السوط في عهد الوالي الأسبق، أن الكاتب لا يفرق بين ظلم ابن غانم وظلم (أبي الحسن)، لأن الاثنين يستعملان الأداة نفسها حتى يبسطا العدل.

### الخاتمة والنتائج:

بعد هذا العرض التحليلي لمسرحية (الثالث) للكاتب حسن يعقوب العلي واستلهامه التراث فيها – مستغلاً بذلك تناصاً شاركه فيه سعد الله ونوس في مسرحيته "الملك هو الملك" وشخصية أبي الحسن – الذي سبق أن عرفناه في حكايات ألف ليلة وليلة كما ذكرنا آنفاً – يتضح أن لا علاقة تجمع بين أبي الحسن الثالث – ومن سبقه في الحكايات السابقة كما وردت في الأدب الشعبي.

ولا بدع فإن الكاتب لا يعيش عصر الدولة العباسية، أو التي تلتها، وإنما جاءت إسقاطات مسرحيته وانحصرت في رمزيتها على واقع عصرنا الحالي، ومقارنته باستخدام زمان ومكان لا يرتبطان بما نعيشه الآن، وفيه يناقش مشكلة الديمقراطية، التي يسهل استغلالها والتحايل بها وعليها، خصوصاً حين يشرف على إدارتها ضعاف النفوس والمتسلطون وعديمو الخبرة والجهلاء على حد سواء .

أما عن موضوع استغلال التراث كوسيلة درامية لعكس الواقع المعاصر وإشكالياته، فمن الممكن القول إن الهروب من تعسف الرقابة الضاغطة ومساءلتها أهم أسباب توظيف التراث هنا، ويؤكد د. إبراهيم عبدالله غلوم على ذلك قائلاً: (يتوهم كثيرون أن التراث من حيث كونه أحداثاً وشخصيات يشكل سلسلة من الأقنعة، يوظفها الكاتب من أجل مراوغة الرقابات المكونة في المجتمع حول الأفكار وحرية التعبير .. [.....])، وأعتقد أن التفسير السابق لا يركز على فهم جوهرى للمسرح، وإنما يعتمد على فهم المسرح بوصفه موضوعات تتقاطع مع المحرمات السائدة في المجتمع). (الأدب في الكويت خلال نصف قرن، (1950-1986)، مارس 2003، ص468).

ولعل البعض يجد تعارضاً في استغلال التراث وربطه بالإسقاط السياسي، إلا أن أعمالاً عديدة، ومن بينها مسرحية (الثالث)، قد وظفت هذا التراث لإيصال مجموعة من الأفكار والآراء بشكل غير مباشر بالتعبير عن الواقع المعاش.

لقد رأينا أن الكاتب حسن يعقوب العلي قد وظف التراث ليظهر لنا بشكل واضح حقيقة فكر الأنماط السياسية باختلاف توجهاتها مثل الوالي السابق ابن غانم، كما أتمت في حكايته، على إظهار سلبيات حكم أبي الحسن ابن الطبقة الشعبية، وصاحب المقهى بكثير من الرصد والتحليل الدقيق، لكنه اعتمد في تصويره على التجارب الناقصة المنحرفة والمشوهة، التي عاشها بعض الحكام في بلاد عربية من حولنا، ولم يطرح الديمقراطية الشعبية من خلال نظرة موضوعية علمية، بصرف النظر عن بعض ما نشاهده. وبهذه الرؤية الناقصة وضعنا أبو الحسن أمام أمرين، فإما ظلم الوالي ابن غانم وفساده وبطانته، وانحرافه هو ورجاله، وإما عدالة صاحب المقهى المعدم (أبي الحسن)، والتي لا تنق بأحد، أو تعرف الرحمة، ولا تقبل القسمة على اثنين مهما كانت الظروف.

وفي الحديث عن مدى ارتباط شكل المسرحية المطروح بأبعادها ومضامينها السياسية، ومدى تجسيدها للواقع من حولنا، فقد جاءت اللغة المستخدمة فيها سهلة الاستيعاب على الرغم من كون لغة العصور السالفة، ذات مفردات ومصطلحات غنية وعميقة، يصعب فهمها أحياناً، في ظل المتغيرات التي مرت بها البلاد العربية منذ ذلك الزمن، وإن احتوت حوارات اللغة في (الثالث) على بعض الجمل العامية، والتي خرج بها المؤلف عن خط الالتزام بزمن ومكان وقوع الأحداث، وعكست شيئاً من الفكاهة والكوميديا.

**كبير التجار:** اخرس .. آخر زمن .. الرؤوس نامت والعصاعص قامت ... (حسن يعقوب العلي، مسرحية الثالث، ص 122).

ويمكن القول إن هذه الإشارة ما هي إلا أحد الأدلة على مدى ارتباط نص مسرحية الثالث بواقع المجتمعات، ولا سيما العربية منها، كما أنها عكست شخصية كل فرد من الأفراد الذين شهدناهم خلالها، فعلى سبيل المثال، إن لغة (أبي يوسف) المشعوذ المحتال، وما تضمنته من آيات قرآنية امتزجت بدعوات النصب، واستخدام الحيلة لتحقيق الثراء، قد نجحت في عكس ما تكنه هذه الشخصية في داخلها:

**أبو يوسف:** الحمد لله الذي يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير إنك على كل شيء قدير (حسن يعقوب العلي، ص 98)

وأخيراً نقول: إن العنصر الأهم في المسرحية، هو تحليل بنية السلطة في أنظمة الحكم القمعية، لكنّ هذا التحليل يغفل جانباً مهماً ضمن هذا المخطط، هو الشعب، وعدم قدرته على الفعل، وقد جهد الكاتب لتصوير عجز الطبقات الفقيرة عن الحكم، وعدم صلاحيتها لهذا الأمر، فخرج النص غير متوازن على الإطلاق، رغم أنه استعار أشكالاً خارجية من مسرح بريشت، فإنه حافظ على بنية درامية كلاسيكية تماماً، وأتبع بنية هرمية شبه تقليدية في تركيب النص، لكننا نجد لديه استعارات جوهرية فكرية وفنية من مسرح العبث بوجه خاص، مُطعم بشيء من التراث، وإن كانت المسرحية بحد ذاتها طريفة وممتعة، وذات حوار ذكي في بعض المقاطع، لكن ذكاء الكاتب امتد إلى العبث بالأفكار، لتلائم مختلف الاتجاهات السياسية والديكتاتورية خصوصاً، ووضع نفسه في موقع فكري محافظ، بل رجعي، إذا قارناه باتجاه ونوس في نصه الموازي "الملك هو الملك" بالإضافة إلى تناقض صريح بين ضرورة التنكر حتى تنهياً ظروف الثورة، وتهيأ لها رجال قادرون على الحكم، وإدارة دفة البلاد، وبين ضرورة الثورة المباشرة، كما أن المسرحية، بشكل أو بآخر، ومن خلال إدانتها الظاهرة لشكل نظام الحكم؛ تُسوِّغ للزعيم، أو القائد، أو السلطان، وحتى الوالي، تصرفاته وهفواته وظلمه للعباد، وتدعي أن استبدال شخص بآخر، حتى لو كان من الواقعيين تحت نير الظلم لزم من طويل، لن يغير من الأمر شيئاً. ويبدو أن المؤلف هنا يوجه نصيحة إلى الحكام كي يُحكموا السيطرة ويزيدوا التثبيت بعروشهم، ولا سيما أن نموذج أبي الحسن الثالث، لو وجد عملاً في حاشية السلطان، ولو بمرتبة حاجب، فسيرتب أموره حتى ينقض على السلطان، ويجلس مكانه ويمارس العنف والقمع، ويبدو أن سلوك أبي الحسن هنا لا يختلف عن سلوك ضابط أمن متوسط الرتبة في إحدى دول العالم الثالث.

لذلك كان على المؤلف أن ينهي مقولة الحرية، بل أن يستبعدها تماماً من خلال محافظته على نمطية الشخصيات (التاجر، حامل السوط، الوزير، التابع) بإعطائها دوراً ثابتاً من خلال الإطار الاجتماعي والسياسي، وبذلك حرم هذه الشخصيات من إمكانية الخلاص، ووضعها في مركز ثابت من الحياة لأن من يتخلى عن مكانه، يفقد شرعية وجوده (أبو الحسن). كما أن المؤلف بذل جهده لإبعاد الفساد إلى الدرجة الثالثة أو الدائرة الثالثة، إذا افترضنا أن الدرجة الأولى/ الدائرة تمثل الملك، والدرجة الثانية/ الدائرة تمثل الوزير، فهاتان الدائرتان بعيدتان عن الفساد، لكن الفساد يأتي في درجة / دائرة الوالي، وإذا عكسناها على الواقع الكويتي ونظامه فهذا يعني أن الدائرة الثالثة تخص أعضاء البرلمان وما دون ذلك.

أما عن فلسفة العبث المسيطرة على النص فتكمن في نقطتين: أولاهما عدم وجود إمكانية للتغيير، وبالتالي إنهاء حلم الإنسان بحياة أفضل، والثانية النهاية القاتمة اليائسة، حيث يحاسب المدافع عن العدل ويعاقب، لأن عدالته نوع من الظلم المستبد، رغم كل الشكاوى من عدم وجود العدل في البلاد. وهنا نعود إلى البداية، ويعود كل إلى موقعه ويحلم من مكانه، وأبو الحسن يثبت للآخرين ولنفسه أنه مغفل ومعه الشريحة التي ينتمي إليها.

وإذا كنا نجد ملامح تعريبيه على مستوى النص فإن هذه الملامح لا تظهر بشكل واضح، نظراً لاعتماد الكاتب على بنية درامية متسلسلة مترابطة، بدا فيها الفعل الثوري مجرد حشو، وضعيف نظراً لضعف الشخصيات الحاملة للحلم، وربما يقترّب هذا النص من تصور الكاتب مارتن أسلن الذي يقول: (تعتبر عملية السرد القصصي شكلاً من أشكال الكذب، ذلك أن مؤلف القصص

والمواقف الملفقة حر تمامًا في توظيف أكثر خيالاته استفزازية، لأنه متحرر من النتائج المترتبة على ما نوى أو فعل في عالم الحقيقة، ومن هذا المنظور تعتبر القصص والمسرحيات نوعًا من الكذب، إلا أنها تشكل حقائق مهمة من منظور آخر، فهي تكشف لنا عن خيالات كتابها، وأحلام يقظتهم، والرؤى التي تنقاد إليها عندما يطلقون العنان لمخيلاتهم، وتعتبر أحلام اليقظة هذه، والتخيلات عن الحياة الداخلية لصانعيها، معلومات قيمة، تعطينا رؤى عميقة عن شخصيات أولئك الذين ينتجونها (مارتن أسلن، 1994، ص128 و129).

وأيًا كان الأمر، فخلاصة القول؛ إن مسرحية الثالث بشكلها التراثي تمثل بشكلٍ أو بآخر دراما الإسقاط السياسي، وتمثل محاولة جادة للكتابة الدرامية، حتى وإن تطابقت في سياقها العام مع أجواء القصة الشعبية، وطرح فيها الكاتب حسن يعقوب العلي نموذجًا واضحًا للإدانة سواء كانت على مستوى الفرد أو الحاكم على حد سواء.

#### قائمة المصادر والمراجع:

##### أولاً المصادر:

1- العلي، حسن يعقوب، مسرحية الثالث، الطبعة الثانية، الكويت، رابطة الأدباء، 2004.

##### ثانيًا المراجع:

1- الأدب في الكويت، خلال نصف قرن، (1950-2000)، مراجعة وتقديم، غادة حجاوي، إلياس البراج، الطبعة الأولى، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مارس 2003.

2- أسلن، مارتن، البنية التشريحية للدراما، ترجمة منذر محمود محمد، الطبعة الأولى، دمشق، مطبعة عكرمة، 1994.

3- إلياس، ماري، قصاب، حنان، المعجم المسرحي: مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض عربي- إنجليزي- فرنسي، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1997.

4- بلال، محمد مبارك، مقالات في النقد المسرحي، الطبعة الأولى، الكويت، 1994.

5- الصوري، محمد مبارك، الأدب المسرحي في الكويت، الطبعة الأولى، الكويت، وزارة الإعلام، 1993.

6- عبدالله، محمد حسن، الحركة المسرحية في الكويت: رؤية توثيقية ودراسة فنية، الطبعة الأولى، الكويت، منشورات مسرح الخليج العربي، 1976.

7- العيوطي، أمين، فرقة المسرح العربي ومسيرة ربع قرن (1961-1986)، الطبعة الأولى، الكويت، شركة قيتباء للنشر والتوزيع، 1986.

8- غلوم، إبراهيم عبدالله، المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي: دراسة في سوسيولوجيا التجربة المسرحية في الكويت والبحرين، الطبعة الأولى، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، عدد 105، سبتمبر 1986.

1- العلي، حسن يعقوب، " هل تنجح مغامرة المسرح العربي الثالثة بمسرحية الثالث؟"، جريدة الأنباء الكويتية، العدد السابع، يونيو 1976.

2- ونوس، سعد الله، " حول الملك هو الملك ورجل برجل"، الحياة المسرحية، الأعداد 3-4-5، 1978/1977.